فلسفة الدّين ووجود الله عند جون هيك

الطالب الباحث هشام حمداني

طالب باحث بسلك الدكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك جامعة الحسن الثاني

المملكة المغربية

الملخص:

تعتبر الظاهرة الدّينية أعلق وألصق الظواهر بالإنسان في كل زمان ومكان، فهي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، ففي كل المجتمعات توجد جماعات تقية تخشى الله، أو براهما أو يسوع ..... ولها اعتقادات معينة وتؤدي طقوساً عباديّة معيّنة، جماعات تصاب بنوع من الرهبة في هذا الكون تجاه الأشياء الجليلة، كبحر ضخم متلاطم الأمواج آو سماء عظيمة .... و لم يخل مجتمع من المجتمعات على مر التاريخ البشري المديد من بعض تجليات الظاهرة الدينية.

والعجيب أن يقضي الإنسان سحابة يومه في التدين – ظاهرا على الأقل – ولا يسأل عن معنى الدين، والدراسات الكثيرة المعاصرة في حقل فلسفة الدين تعكس ما لهذا الأخير من أثر كبير في حياتنا، فقد صار مجالا للاهتمام لأسباب كثيرة: منها ما هو ديني، وما هو سياسي، وما هو اجتماعي....

ورغم أن الاهتمام بالدين قديم، قدم الإنسان غير أن فلسفة الدين لم تظهر إلا مع كانط عند حدود القرن 18 وهذا لا يعني أنه لم يتم التفكير في الدين من قبل، ولكن التفكير في الدين في ظل مبحث فلسفة الدين هو الذي كان غائبا ودائما تأتي التسميّة متأخّرة ونموذج ذلك الفيلسوف Xénophon فقد فكر فيه أثناء الحقبة اليونانية وقبل التأسيس، كما فكر فيه وتناول بعض قضاياه فلاسفة كبار من مثل: سقراط وأرسطو وأفلاطون وطاليس وفيثاغورس ..... فالممارسة كانت معروفة لكن الاسم لم يكن معروفا.

ولعل من بين أبرز المتخصصين في فلسفة الدّين من الفلاسفة المعاصرين جون هيك الذي أدلى بدلو مملوء في حقل الدّراسات الدّينية بكل ما يعتمل فيها من موضوعات وأطاريح، وكان له وهات نظر تفرّد بها كتعريف فلسفة الدّين وتمييزها عن اللاهوت الطّبيعي والوحياني، و نظرية التّعددية الدّينية ، وكذا رؤيته لمعضلة وجود الشّر في العالم و بحثنا هذا سينصبّ على قراءة تصوّر جون هيك لفلسفة الدّين ووجود الله بين أدلة إثباته وأدلّة نفي وجوده ليخلص إلى فكرة أساس و هي أن الاعتقاد الدّيني انجذاب نفسي واطمئنان روحي وليس اقتناعا عقليا صرفا، فما مفهوم فلسفة الدّين حسب جون هيك؟ وكيف نظر إلى وجود الله؟

الكلمات المفتاحية: فلسفة، الدين، علم اللاهوت، الله، علم الكلام، البراهين، اللاهوت الطبيعي...

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

توطئة

يقول المؤرخ الإغريقيّ بلورتاخ[1]:" لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصونٍ، ومدن بلا قصورٍ، ومدن بلا مدارسٍ، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابدٍ ". يمكننا أن نستنتج من المقولة السالفة الذكر أن الظاهرة الدينية لصيقة بالإنسان ملازمة له، لا تنفك عنه بحال من الأحوال، ففي كل المجتمعات توجد جماعات تقية تخشى الله، أو براهما أو يسوع ..... ولها اعتقادات معينة وتؤدي طقوساً عباديّة معيّنة، جماعات تصاب بنوع من الرهبة في هذا الكون تجاه الأشياء الجليلة، كبحر ضخم متلاطم الأمواج آو سماء عظيمة .... و لم يخل مجتمع من المجتمعات على مر التاريخ البشري المديد من بعض تجليات الظاهرة الدينية.

والعجيب أن يقضي الإنسان سحابة يومه في التدين – ظاهرا على الأقل – ولا يسأل عن معنى الدين، والدراسات الكثيرة المعاصرة في حقل فلسفة الدين تعكس ما لهذا الأخير من أثر كبير في حياتنا، فقد صار مجالا للاهتمام لأسباب كثيرة: منها ما هو ديني، وما هو سياسي، وما هو اجتماعي .... حتى صرنا لا نعرف ما الذي فعلناه بهذا الدين؟ أو ما الذي فعله هذا الدين بنا؟ وما مستقبل هذا الدين؟ وكما يقول فيورباخ فالدين يبدأ مع الإنسان ولا شك انه ينتهي معه، فالإنسان في بعض تعاريفه الكائن المتدين بطبعه؛ أي انه بطبيعته يميل إلى التعلق بالمطلق المقدس واللجوء إليه طلبا للمدد ضد محن الحياة ونوائب الدهر.

ورغم أن الاهتمام بالدين قديم، قدم الإنسان غير أن فلسفة الدين لم تظهر إلا مع كانط عند حدود القرن 18 وهذا لا يعني أنه لم يتم التفكير في الدين من قبل، ولكن التفكير في الدين في ظل مبحث فلسفة الدين هو الذي كان غائبا ودائما تأتي التسميّة متأخّرة ونموذج ذلك الفيلسوف Xénophon فقد فكر فيه أثناء الحقبة اليونانية وقبل التأسيس، كما فكر فيه وتناول بعض قضاياه فلاسفة كبار من مثل: سقراط وأرسطو وأفلاطون وطاليس وفيثاغورس ..... فالممارسة كانت معروفة لكن الاسم لم يكن معروفا.

خرجت فلسفة الدين من معطف كانط في (الدين في حدود مجرد العقل /بسيط العقل) ففلسفة الدين من إبتداع تلامذة كانط بوحي منه[2]، فكانط في كتبه طرح ثلاث أسئلة:

ما الذي يمكنني أن اعرفه؟

ما الذي عليّ أن أفعله؟

ماذا يمكنني أن آمل؟ أي الدين.

فالسؤال الأخير يتغيّى الأمل، فضيلة الرجاء، والغرض من الدين أن يعطيك الأمل إذ يصعب على الإنسان تصديق أنه سيعيش ثمانين سنة مثلا ثم ينطفئ وينتهي إلى زوال وعدم ولا أمل.

والإنسان "كائن مائت"[3] بلغة فيلسوف العرب الكندي ويصعب عليه تقبل ذلك فالموت يجعلنا نفكر في الدين، لهذا تناول الكندي بدوره كمت معظم فلاسفة الإسلام مسألة الموت والخوف منه في العديد من مصنفاتهم ومؤلفاتهم عرضا أو غرضا، فإما

---

[1] بلوتارخ هو مؤرخ وكاتب سيرة ذاتية وخبير أفلاطوني يعرف أيضًا باسم فلوطرخس أو بلوتارخوس. ولد في اليونان وتلقى تعليمه في أثينا وعاش فيها كمواطن روماني، وعلى الرغم من ذلك كانت لغته وانتمائه يونانيين، ومثل شعبه أمام الحاكم الروماني.

[2] من محاضرات أستاذنا الدكتور محمد الشيخ حفظه الله

[3] فيلسوف العرب الكندي ذكر أن الإنسان كائن متناه ضعيف هشّ مائت وذلك في رسالته الشهيرة "رسالة في الحيلة لدفع الأحزان" التي تعدّ من بين أهم النّصوص في الفلسفة العربية الإسلامية التي تعالج مسألة الحزن والخوف وكيفية تلافي أسباب الحزن، كما قد قدّم فيها الكندي علاجات وأدوية لدفع الحزن والخوف من الموت باعتباره أهم موجبات الحزن.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تناولوها فب إطار الحديث عن الموت أو في إطار الحديث عن دفع الأحزان والغموم، أو في إطار نقاشاتهم لموضوعة البعث وما يرافقه من نقاشات.[1]

كانط ينطلق من فكرة أنّ " الإنسانُ كائنٌ متناهٍ هشّ"، هشّ طاقته لها حدود، ومعرفته لها أيضا حدود، ومن هنا فرادة وجمالية التجربة العاطفية في حياة الإنسان، إذ تعطيه الأمل والرجاء ففي الحب يقضي الإنسان عمره وهو يأمل في العيش مع من يحب، طاقته ومعرفته لهما حدود. والعقل العملي هو الذي يصلح لهذا المجال فهو الذي يأتي منه الإيمان فمثلا عندما تتعرض للظلم ولا تستطيع أخذ حقك تؤمن أنه في يوم ما سيأخذ الظالم جزاءه، وهنا أهمية الدين بالنسبة لكانط.

وقد اختلطت فلسفة الدين في بداية أمرها ب «اللاهوت الطبيعي"[2]حيث ظن أن الغاية منها هي تعزيز المعتقدات الدينية والدفاع عنها، إلا أن الأمر ليس كذلك ومردّ هذا الخلط يرجع إلى صعوبة تعريف هذا المبحث الجديد القديم وهذا عائد لأمرين:

أولهما أن فلسفة الدين كلمتان هناك اختلاف كبير في تعريف كل منهما على حدة فما بالك إذا اجتمعا وهذا واضح جلي في مساهمات فلاسفة الدين فالكثير منهم فضلوا تعريفها بممارستها عمليا (بممارسة الحدادة تصير حدادا)

وثانيهما: أن الدين قطب نظر تهتم به كثير من المباحث الأخرى كسوسيولوجيا الدين (تعنى بدراسة الظواهرالدينية كهجران الكنائس وملء المساجد) وأنثربولوجيا الدين (وتهتم بالإنسان في علاقته بالمقدس) وعلم الأعصاب الديني (الذي أدخل الدين إلى المختبر) وعلم اللاهوت، بنوعيه الوحياني، والعقلاني، وفينومينولوجيا الدين ..... التي اشتغلت على الدين من زوايا مختلفة.

غير أن فلسفة الدين استطاعت تحديد مفهومها، ومنهجها وغاياتها، وذلك بعد أن فك شفراتها فلاسفة كبار من طينة توماس هوبز وباروخ سبينوزا وفريدريك شلا يرماخر وجون لوك ومونتسكيو... فهي الدراسة النقدية للمفاهيم والمعتقدات الدينية، أي انها تدرس الدين من خارجه بموضوعية وتجرد إذ تتطلب الحياد القيمي والخروج عن الدين (بعكس اللاهوت الذي يدافع عن العقائد)

فوظيفة فيلسوف الدين أن يفكر في الدين لا أن يدافع عن الدين، بعيدا عن كل تقديس أو تدنيس، يريد البحث والدراسة من خلال مساءلة المفاهيم، واستشكال القضايا، وفحصها بنار العقل لبيان صحيحها من زائفها.

ورغم كثرة الدراسات التي تصب في هذا الحقل المعرفي الخصب فإنه لا يفتأ يعد بالعطاء إذ ما يزال مجالا بكرا، نَضج وما احترق. أما في عالمنا الإسلامي فهو علم ما نضج وما إحترق، فقد كان أول استخدام للمصطلح فقط في 1898 من طرف محمد رشيد رضا في مجلة المنار.

التعريف بجون هيك:

---

[1] ابن مسكويه "تهذيب الأخلاق" وابن حزم في "الأخلاق والسير" و"الحيلة لدفع الأحزان" للكندي، أو الفارابي في "فصول منتزعة"، وأبي بكر الرازي في "الطب الروحاني"، أو يحيى بن عدي في "تهذيب الأخلاق وفخر الدين الرازي في "رسالة في ذم للذّات الدّنيا".....

[2] اللاهوت الطبيعي عبارة عن جملة من المعارف اللاهوتيّة التي يمكن أن يهتدي إليها العقل البشري بيسر ودون حاجة إلى الوحي الإلهي وإن كان اكتمالها رهين هذا الوحي. جاء في كتاب علم اللاهوت: "علم اللاهوت الطبيعي هو العلم المستمدّ من الضمير والعقل وشهادة الطبيعة، وبه نستطيع أن نحصل على معرفة الله ومحبّته وعبادته، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث:
https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%87%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D9%8A-3639

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

– ولد في مدينة يوركشاين ببريطانيا سنة سنة 1922 من أبوين متوسطي الحال ونشأ محبا للبحث والاطلاع.

– أبدى اهتماما مبكرا بالفلسفة والدين فقرأ في سن مبكرة نيتشه وكانط وشوبنهاور ولايبنتز وراسل وغيرهم

– مر بتجربة روحية انتشى فيها بوجود حقيقة سامية سارع بالاستجابة لها باعتناق البروتستانتية بعد ان مر بأزمة روحية ومرحلة من الضياع الذهني إثر التحاقه بجامعة هول لدراسة الحقوق

– التحق بجامعة إدنبرغ لدراسة الفلسفة إلا أن دراسته لها انقطعت بسب اندلاع الحرب العالمية الثانية.

– تشاء الأقدار أن يطلب للخدمة العسكرية التي سيرفضها انطلاقا من التزامه اللامشروط بالتعاليم المسيحية لتعارضها مع عنف الحرب.

– انضم إلى وحدة الإسعاف وخدم فيها زهاء ثلاث سنوات إذ لم يستطع الفكاك من خيار الحرب بعد انتهاء الحرب عاد إلى إدنبرغ لدراسة الفلسفة فيها وانضم مرة أخرى للاتحاد الإنجيلي الذي لم يعد منسجما مع أفكاره.

– ابتعد عن الحركة الطلابية الإنجيلية إذ لمس من زملائه نفورا بعد ان بدأ بطرح أسئلة كبيرة حول تناقضات النصوص الإنجيلية والكثير من روايات الكتاب المقدس؛ إذ كيف يمكن رفض التطور البيولوجي فقط لأنه متعارض مع ما ورد في سفر التكوين وكيف يمكن تقبل واستساغة انسجام الحب الإلهي اللامتناهي مع العذاب الأبدي الشديد الذي أعد لغالبية البشر.

– وفي صيف 1942 بعد انتهاء الحرب عاد إلى إدنبرغ، اكتشف أثناء دراسته أهمية إيمانويل الكبرى، ونظريته في الدين.

– تخرج من إدنبرغ بتفوق وحصل على منحة دراسية ثم نال شهادة الدكتوراه من جامعة أكسفورد على أطروحته الإيمان والاعتقاد التي قام بمراجعتها وترجمت ا فيما بعد بعنوان الإيمان والمعرفة .1957

– التحق بالمعهد اللاهوتي للرهبان بكلية وستمنستر حيث درس فيه ثلاث سنوات عين بعدها قسيسا في الكنيسة المشيخيّة الانجليزية.

– في عام 1959 التحق بمعهد " برينستن " للتعليم اللاهوتي لتدريس الفلسفة المسيحية بنيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية.

– وفي عام 1967 التحق بقسم اللاهوت بجامعة برمنغهام في بريطانيا، والتي كان لها كبير الأثر في رؤيته للأمور إذ لفت انتباهه ما كان سائدا فيها آنئذ من عدم التسامح والعنصرية والتعصب الديني في أذهان البريطانيين بما فيهم الكنيسة.

– ومنذ ذلك الحين بذل جهدا كبيرا لمواجهة العنصرية الدينية، ومحاربة التعصب، وعدم التسامح الديني من خلال دروسه ونشاطه الاجتماعي ومحاضراته المتنوعة، ومؤلفاته المختلفة، فأصبح من دعاة الحوار بين الأديان، ومن العاملين على بلورة فكرة التعددية الدينية.

– في 1979 شغل منصب كرسي " دان فورث " في فلسفة الدين في الدراسات العليا في "كليرمونث" كاليفورنيا.

– وفي 1986 عرض مشروعه الكبير في تفسير التجربة الدينية وفهم الاستجابة للمتعالي وذلك في عدة محاضرات جمعت ونشرت فيما بعد فيما بعد تحت عنوان فلسفة الدين الاستجابة البشرية للمتعالي في .1980

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

– في عام 1991 حاز على جائزة "غراويماير" كاعتراف وتقدير لإسهاماته الكثيرة في اللاهوت المعاصر.

– يعد بحق أحد أكبر اللاهوتيين المعاصرين ويشغل منصب نائب رئيس الجمعية البريطانية لفلسفة الدين ومجمع الإيمان العالمي.

أشهر مؤلفاته

– المعرفة والإيمان: مقدمة عصرية لمسألة المعرفة الدينية 1957.

- Faith and knowledge: A modern introduction to the problem of relious. cornell univercity press ,1957 .

فلسفة الدين، الطبعة الأولى سنة 1963.

- Philosophy of religion (2nd ed in 1973, 3rd ed en 1983 ,4th ed in 1990) englwood giffs. NJ: prentics hall .

– الشرُ والهُ المحبة الطبعة الأولى 1961 .

- Evil and the God of Love (2nd ed in 1977) New York: Harper and Row

– المسيحيةُ في المركز، الطبعة الأولى سنة 1968، وطبع تحت عنوان "مركز الثقل في المسيحية " بعد مراجعته سنة 1977.

- Christianity at the Centre, New York : Herder and Herder. Revised in 1997 as the Centre of Christianity (San Fransisco : Harper and row) and revised again in 1983 as The Second Christianity (london : SCM press).

– أدلة على وجود الله، طبع عام 1971.

- Arguments of the Existence of God. New York. Herder and Herder, 1971

– اللهُ وعالم المعتقدات: مقالات في فلسفة الدين طبع سنة 1973.

- God and the Universe of Faiths: Essay in the Philosophy of Religion. New York: St Martin's Press, 1961.

– الموتُ والحياةُ الأبدية، طبع سنة 1976.

- Death and Eternal Life. New York: Harper and row.

– لله أسماء عدة، طبع سنة 1980.

- God Has Many Names. Philadelphia: Westminster Press, 1980.

–إشكاليات التعددية الدينية، طبع سنة 1985.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- Problèmes of Religious pluralism. New York: Macmillan Press 1985.

– تأويلُ الدين: الاستجابات البشرية للمتعالي، طبع سنة 1989.

- An Interpretation of Religion: Human Responses to the Trenscendent. New Haven: Yale Univercity Press (1989)

– مجازيّةُ تجسد الإله: الكريستولوجيا في عصر التعددية 1993

- The Metaphor of God Incarnate : Christology Pluralistic Age. Loiuseville, KY : Westminster John Press (1993)

محاورُ القراءة:

الكتابُ قيد القراءة إحدى بواكير أحد أهم اللاهوتيين وفلاسفة الدين في هذا العصر وقد قصد من خلاله بطريقة عملية تقديم مادة تعرف بهذا المجال المعرفي من حيث موضوعه، ومسائلهُ، ومنهجهُ، وهو موجه بالدرجة الأولى لطلاب الفلسفة، والعلوم الدينية، بغية تعريفهم بشكل تطبيقي إلى فلسفة الدين كمجال معرفي خصب، وأهم ما دار فيها من نقاشات في القديم والحديث وفق المنهج الفلسفي العقلي بموضوعية وتجرد.

وقد قسّمهُ مؤلفهُ إلى مقدمة وأحد عشر فصلا، حيث خصّص كل فصل لمسالة كبرى من مسائل هذا الموضوع، عرضها وناقش أهم ما فيها من أفكار وحجج واعتراضاتٍ وردود.

ونظرا لإكراهات عديدة ستنصبّ محاور هذه القراءةُ على بعض من مسائل الكتاب لأنّ الخوض في كل مسائله يتطلب مساحةَ ورقيةَ وزمنية أكبر مما يتيحه هذا البحث لذا سأقتصر على المحاورالتالية.

مقدمة:

المحور الاول: تعريفُ الدين وفلسفة الدين وتمييزها عن اللاهوت الطبيعي والوحياني.

المحور الثاني: مفهومُ الإله في الثرات اليهودي المسيحي.

المحور الثالث: أهم الأدلة والبراهين الفلسفية على وجود الله وعلى عدم وجوده.

خاتمة:

الفصلُ الأول: تعريفُ فلسفة الدّين وتعريف الدين

1- تعريفُ فلسفة الدين:

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يجمع جون هيك في تعريفه لفلسفة الدين بين الطريقتين: فهو يعرفها بطريقة نظرية، كما أنه يمارسها تطبيقيا، وعمليا في كل فصول ومباحث الكتاب، على طريقة من يعمل بالفكرة القائلة " إنك بممارسة الحدادة تصبح حداداً " برايان ديفيس Brian Davies

عرفها بالإيجاب وبالسلب وإن بشكل مقتضب إذ يميزها عن اللاّهوت سواء الطبيعي أو الوحياني

يميزُ جون هيك في المقدمة بين فلسفة الدين، واللاهوت الطبيعي، واللاهوت الوحياني: فاللاهوت الطبيعي ويرى تسميته بعلم الدفاع عن العقائد الدّينية فهو الذي يتوسّلُ بالعقل وآلياته للاستدلال على وجود الإله؛ إذ يتشكّلُ من الحقائق اللاهوتية التي يمكن التوصل إليها عن طريق العقل البشري مستقلا دونما حاجة إلى أيّ نص ديني ك (وجود الله خلود النفس.....)

بينما اللاّهوتُ الوحياني يتكونُ من الحقائق التي لا يمكن للعقل البشري الوصول إليها ولا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي: (إن الله ثلاثة أقانيم).

أما التعريف بالإيجاب: فلسفة الدين تعني التفكير الفلسفي حول الدين، إذ هي فرع من فروع الفلسفة يعنى بدراسة المفاهيم المنظومات الإعتقادية الدّينية، كما يدرس ظواهر التجربة الدينية وأعمال العبادة والتأمل التي تتأسّس عليها المنظومات الدينية الإعتقادية. يقول جون هيك:".... والإحتفاظ باسم فلسفة الدّين لما تعنيه بالضّبط؛ أي التّفكير الفلسفي حول الدّين، (تشبيها بفلسفة العلم، وفلسفة الفنّ...) فلسفة الدّين إذا، ليست جزءا من التّعاليم الدّينية، ولا ينبغي أن تعالج من وجهة نظر دينية فالملحد والمشكّك والمؤمن جميعهم يستطيعون التّفلسف حول الدّين وعليه ليست فلسفة الدّين فرعا من فروع اللاهوت"[1]

وأما التعريف بالسلب: فلسفة الدين ليست فرعا من فروع اللاهوت، ولا جزءا من الدين ولا مسالة من مسائله رغم ارتباطها به ودراستها ومناقشتها لقضاياه ومسائله؛ فاللاهوت علم دفاعي يدافع عن الله واليوم الآخر، بينما فلسفة الدين لا تدافع عن أية عقيدة ولا تهاجم أية عقيدة.

وبناء عليه فالمتدينُ وغير المتدين، المؤمنُ والملحدُ، جميعهم يستطيعون التفلسف حول الدين شريطة التحلي بالموضوعية والتجرد في دراسة ومناقشة قضايا الدين ومسائله.

2 – تعريفُ الدين:

يقدمُ المؤلفُ تعاريف متباينة للدين، تبعا للحقول المعرفية المستقاة منها، ومن بينها:

- التعريفُ السيكولوجي: الدينُ عبارة عن إحساسات وتجارب وأعمال البشر في العزلة حين يشعرون بالارتباط بشيء يعتبرونه الهيا " وليم جيمس "[2]
- التعريفُ السوسيولوجي: الدين مجموعة اعتقادات، وممارسات، ومؤسسات اجتماعية، طورها البشر في مجتمعات مختلفة " تالكوت بارسونز "
- التعريف الطبيعي: الدين مجموعة وساوس وشكوك تعيق ممارسة الأعمال بحرية " سالمون ريناخ "

والتعريفُ المشترك بين الأديان المعروفة: الدين اعتراف بشري بوجود قوة فوق بشرية مسيطرة وهي الإله أو الآلهة الذين يستحقون الطاعة .....

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 3.
[2] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010،ص 4-5

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يرى المؤلفُ صعوبة تعريف الدين، بعد ذكر التعاريف المختلفة والمتنوعة، لان كل التعريفات المقدمة تبقى مشروطة، إذ تقرر كيف تستعمل المصطلح وتفرضه بشكل تعريف. ويرى إن هناك إمكانا أكثر مرونة وهو ألا يكون لكلمة دين معنى واحد صحيح فلا توجد خصائص موحدة لشيء يسمى " الدين " بل هناك عائلة من المتشابهات المتشعبة ففي كثير من الأديان توجد عبادة الإله أو الآلهةُ وفي بعض الأديان لا وجود لهذا الأمر ك "النيرفانا البوذية ".

وأحيانا تدعوا الأديانُ إلى اللحمة والتماسك الاجتماعي وأحيانا يعتبرُ الدينُ هو ما يمارسه الإنسانُ في خلوته وعزلته. كما يعبر الدين أحيانا عن التناغم والانسجام والسكينة النفسية، وفي أحيان أخرى نجد الكثير من دعاة الأديان العظام مختلي التوازن أو حتى مخبولين.

وهذا موجود في الأديان الكبرى، وفي الاعتقادات غير الدينية من جهة أخرى كالماركسية مثلا بمثالها الأخروي، وأنبيائها، وشهدائها، وقديسيها. غير أن هناك ميزة مشتركة ومنتشرة بين جميع الأديان، وتتعلق بما يسمى "خلاصا أو حرية " إذ لكل دين بنية خلاصية يتأسّسُ عليها، حيث يدعوا إلى الانتقال من السيّئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأكثر حسنا، ويعتبر الحياة بعيدا عن الإله حطاما.

وهكذا تعرضُ المنظومات الدينيةُ "عائلة المتشابهات" طرقها الخاصة والمختلفة إلى المطلق من خلال الإيمان أو الاستجابة للمطلق المتعالي "النعمة المقدسة" أو وهب النفس للإله كليا أو الانضباط الروحي المؤدي إلى الحرية والتنوير ..... ففي كل مرة يتجلى الخلاصُ في نوعية وجود جديدة، وفضلى، ومتميزة ومرغوبة، تنشأُ نتيجة التحول من مركزية الذات إلى مركزية الواقع.

الفصل الثاني: مفهومُ الالهِ في التراثين اليهوديّ المسيحيّ وصفاتهُ

مفهومُ الإلهِ:

يرجعُ جون هيك التعبيرات الأساسية المستعملة في التعبير عن الإله إلى الأصول القديمة فإما اليوناني أو اللاتيني:[1]

فكلمةُ الإلهِ إمّا مأخوذة من الكلمة اليونانيّة theos

أو مأخوذة من الكلمة اللاتينيّةDeus

ويحاولُ البحث عن دلالتها من جهتي السلب والايجاب:

فمن جهة السّلبِ: يجد أن كلمة atheis "لا ألوهة" تعني الاعتقاد بعدم وجودِ اله.

وكلمةُ agnosticism أي "اللاأدرية " أي الاعتقادُ بأنه ليس لدينا سبب كافٍ لنؤكد آو ننفي وجود الالهِ.

وكلمةٌ " skepticism" تعني ببساطة الريبية.

وكلمة الطبيعانية " Naturalism" تشير إلى كل جوانب حياتنا البشرية الأخلاقية والدينية وتشكلُ جزءا من البيئةِ الطبيعيةِ.

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص9

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وأما من جهة الإيجاب فإن عبارة تأليه " deism" ويمكن أن تدل إما على فكرة "الغائب" أي الإلهُ الذي خلق الكون منذ القدم، وحركه ثم بعد ذلك تركهُ وشأنهُ، كصانعِ ساعات سويسريّ. أو يمكنُ أن تمثل عبارة تاريخيّة للربوبيّةِ الانكليزيةِ في القرن الثامن عشر والتي جاء في تعاليمها أن اللاّهوت الطبيعيّ يكفي لتبريرِ الدينِ.

صِفَاتُ الإلَه:

التّوْحِيدُ: Monotheism

لعلّ الصفة المركزيّة في العهدين القديم والجديد تتمحورُ حول التوحيدِ الذي نشأ كصراع حلّ بشكل ثابت مع الشرك وإله القبيلة وكلمةmonotheism أي واحديّة الإله هي الاعتقاد بوجود كائن واحدٍ متعال شخصيّ وأخلاقيّ يطلب استجابة كلية وتامّة من البشر فقد جاء في سفر التثنية (إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربّ واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك) سفر التثنية 6_54

وعلى الرغم من وجود آلهة أخرى مثل داغون الفلسطيني وكموش إله المؤابيين فان رسالات الأنبياء الكبار قبل الميسح كعاموس وحزقيال وأشعيا الأوّل وارميا وأشعيا الثاني قد قررت بإصرار أن يهوه لم يكن إله قبيلة فقط للعبرانيين بل هو خالق السماوات والأرض الحاكم على كل الشعوب وكل التاريخ فهو حتما إله عالمي شمولي.

وكما تشير هذه الكلمات السامية فان الفهم السامي للإله الذي استمر في المسيحية والإسلام هو توحيدي بالتأكيد.

بيد أن حياتنا تواجه صعوبات في الاحتفاظ بممارسة هذا الإيمان فجهودنا موزعة بين تقديم عبادات لعدة آلهة. فالمتأمل لحياتنا لا شك سيروعه ما نبذلهُ من جهود ونستنفذه من طاقات في خدمةِ إلهِ المال، واله المصالحِ، والنجاحِ، والقوةِ والرياضةِ.....بينما نخصّص الفترة الأقصر (يوم آو بضع يوم في الأسبوع) لإلهِ الإيمانِ.

وهكذا لا تكتب الاستمراريةُ للتوحيدِ الخالص الذي لطالما نادى به الأنبياءُ للإلهِ كرب للتاريخ، يقول جون هيك:" تشهد عناصر الشّرك والتّوحيد القبلي الموجودة في حياتنا الإحتفاظ بممارسة هذا الإيمان، حتى في ثقافة سرت فيا التّعاليم التّوحيديّة لقرون، فمثلا لو زارنا كائن حسّاس دينيّا، من كوكب آخر، سيكتشف بلا شكّ أنّنا نقسّم طاقاتنا في خدمة آلهة متعدّدة، كإله المال والمصالح، والنّجاح، والقوّة، والآلهة الأصنام، ولفترة قصيرة (مرّة في الأسبوع) إله الإيمان اليهو–مسيحي.[1]

مَوْجُودٌ بذاتهِ SELF-EXISTENT

لاَ مُتَنَاهٍ INFINITE

الإلهُ أبديّ أزليّ سرمديّ غيُر محدود، لم يسبقهُ ولن يلحقهُ عدم. وكون الإله غيُر محدود فكرة أساسيّة مركزيّة تتكرّر كثيرا في التّوحيد اليهو—— مسيحي. وهذا يتشسابه كثيرا مع الثقافة العربية الإسلامية.

وهذا التأكيد على لامحدوديةِ الإله دفع تيليش "Tillich"[2] للاعتقادِ انه لا يمكن حتى أن نقول أن الإلهَ موجود فالوجودُ لا ينطبق على الخالقِ والمخلوقِ بنفس المعنى، أضفْ إلى هذا أن عبارةَ الإله موجود تحده وإذا تساءلنا أو أجبنا كيفما كان الجواب فإننا سنسأل عما هو فوقَ الوجودِ فالإله حسب هذا الرأي هو الوجود نفسه وليس شيئا موجودا. يقول: "وبالتالي لا يمكن لنا

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 11–12

[2] باول تيليش فيلسوف ألماني، من أكبر فلاسفة الدين في عصره، وُلد في العشرين من أغسطس عام ١٨٨٦م في قرية إشتارتسيدل Starzeddel بمقاطعة براندنبورج Brandenburg في بروسيا بألمانيا الشرق.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أن نسأل أو نجيب عن وجود الإله. وإذا سألنا فإننا سنسأل عما هو بطبيعته فوق الوجود، وسيكون الجواب_سواء أكان إيجابا أو سلبا_، نفيا واضحا لطبيعة الإله، أضف أن مسألة إثبات ونفي وجود الإله مسألة إلحادية؛ فالإله هو الوجود نفسه،وليس شيئا موجوداً. وهنا تكمن المفارقة في قضية –الإله غير موجود–.[1]

وهو موجود بذاتهِ وهي ترجمة للعبارة اللاتينية الموجود من ذاته « a se esse" وهاته الفكرة تشتمل على عنصرين رئيسين:

1- عدم احتياج الإله لا في وجوده ولا في صفاته لأي حقيقة أخرى آو موجود أعلى، فهو الأقوى، والأغنى، وجوده لا محدود ولا مشروط، له وجود مستقل مطلق.

2- يترتّب على هذا أزليةٌ وأبديةُ الإلهِ وسرمديّتهُ فلا شيء سابق عليه أوجده ولا شيء لاحق عليه يقدر أن يفنيه؛ فهو الموجودُ بذاته المستقلّ في وجودهِ المستغني عن غيره. ويصفه القديس أنسلم بأرقى عبارات الإجلال والتّنزيه والتقديس فيقول: " إنك بالفعل لم تنوجد لا بالأمسِ ولا اليومَ ولا غدا، وإنك حتما خارج كل زمان، فالأمس وغدا كائنة في الزمان، وأنت رغم أنه لا يمكنُ لشيء أن يوجدَ بدونك لست في زمان أو مكان، لان كل الأشياء فيك، ولا شيء يحويكَ وأنت تحوي كل الأشياء"[2].

خَالِقٌ: CREATOR

الإلهُ في التعليمِ اليهو- مسيحي واحد، لا متناه، موجود بذاته، موجد لكل ما سواه، خالق للكون من عدم. ويميز جون هيك هنا بين الخلقِ والتحويلِ؛ فالخلقُ هو الإيجادُ من عدمٍ وهذا من شأن الإله وحده. أما تصميم أشكال جديدة من مواد موجودةٍ مسبقا فليس خلقاً، ويترتب على هذا نتيجتان:

أولاهما: التمييزُ المطلقُ بين الإلهِ والخلقِ واستحالةُ صيرورةِ المخلوقِ إلها.

وثانيتهما: الارتباط الأبدي والتعلق الدائمُ للخلقِ بالإلهِ الخالقِ المنعم عن طريقِ الصلاةِ والطقوسِ فالإنسانُ أعطي مواهب ونعما لا حصرَ لهذا يتوجبُ عليه أن يتلقاها بالشكرِ والمسؤوليةِ تجاه الخالق المنعم. ومن الدلالات العلمية لهذه الفكرة أنها تستلزم طرح سؤال: هل يكون خلق العالم الطبيعي قد حصل في لحظة محدودة في الماضي البعيد؟

وللإجابة عن هذا قدم توما الأكويني [3] تصورا مفاده أن فكرة الخلق لا تلغي بالضرورة إمكان أزلية الوجود المادي، فالكون رغم مخلوقيّته ولا إستقلاليته فانه قد يكون بلا بداية، وهذا ما يناقض الوحي المسيحي. بينما قدم القديس أوغسطين تصورا أكثر نضجاً إذ يرى أن الخلق لم يحصل في الزمان، بل إن الزمان هو وجه من أوجه عالم الخلق. فالكون ككل زمانيّ موجود بسبب ارتباطه بالإله.

---

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 12-13

[2] Proslogin,chap 19 M trans M.J charlesworth st Anslem ,s proslogin (oxford :Clardon press 1965) .pp 142-143

[3] الخلاصة اللاهوتية لتوما الأكويني(Summa Theologiae) هي أشهر أعمال القديس توما الأكويني، وتُعدّ من أعظم المؤلفات اللاهوتية والفلسفية في الفكر المسيحي الغربي. كتبها بين عامَي 1265 و1274، لكنها لم تكتمل بسبب وفاته.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

شَخْصِيٌّ: PERSONAL

الاعتقادُ باله شخصيٍّ واضحٌ في الكتابِ المقدسِ والأدبياتِ اليهودية المسيحية ففي العهدِ القديم يتحدثُ الإلهُ بعبارات شخصية مثل " ثم قالَ أنا إله أبيكَ الهُ إبراهيمَ، وإله إسحاق، وإله يعقوبَ "والأنبياء أيضا خاطبوا الإله بعبارات شخصية من قبيل:" اسمع يا إلهي صراخي، واسمع يا إلهي صلاتي "

وما يقصدُ بعبارةِ أن الإلهَ شخصي هو الإشارة إلى أن الإله "هو على الأقل شخصي" وانه مهما كان هذا الإلهُ متعاليا عن إدراكنا له، فهو ليس اقل من شخصي، وليس شخصيا فحسبُ بل إنه دائما الإلهُ القدوسُ المتعال.

مُحِبٌّ وخَيِّر: Loving Good

الإلهُ يتّصفُ بصفة المحبّة والخير والصلاح، والمحبّة وتختلف عن الهوى، فمحبة الإله لمخلوقاته البشرية محبّة شاملة وغير مشروطة، وتعطى للآخرين لا لوجود صفات خاصة فيهم ولا بسبب استحقاقهم لها، بل هي ناتجة عن طبيعة الإله المحب. وبسبب هاته الطّبيعة يعرف الإله في الأديان كأمان وعون لحياة البشر"الإله لنا ملجأ، وقوة عون في الضيقات " لا شيء يستدعي فينا الخير الأقصى سوى المحبةُ، التي لا يمكن أن يسعها إلا أفضل ما يمكننا تقديمه ، ولان محبة الخالق للمخلوقات المتنوعة على صورته لا متناهية، فان محبة هذه المخلوقات لخالقها ينبغي أن تكون بنفس الصفة، لأن الإله خير كله، حب كله، وصلاح كله، وبخصوص صلاح الإله نواجه مشكلة فلسفيّة مهمة تتعلق بالإيمان بصلاح الإله، فهل هذا الإيمان يستلزم معايير مستقلة عن الإله تقاس على أساسها خيرية الإله ؟ أم أن الإله هو الخير وأن طبيعتهُ مهما كانت فهي معيار للخير؟

لكل من هاتين المشكلتين صعوبتها وتحدياتها بالنسبة للسؤال الأول: فإذا كان الإلهُ خيرا بالنسبة لبعض المعايير المستقلة، لا يكون الحقيقة المطلقةَ الوحيدةَ، بل يكون موجودا في كون أخلاقي له معاييره المستقلةُ. أما بالنسبة للسؤال الثاني فان الجوابَ عنه يوصلنا إلى نتائجَ من الصعبِ إنْ لم يكنْ من المستحيل تقبلها لأنه إذا كان الإلهُ خيرا بذاته فقد تصير العداوةُ والبغضاءُ...فضائل فقط لأن الإله أمر بها لأنه خير، وكل ما يريده يكون خيرا. وهذا يتعارض مع ا تعتنقهُ الإنسانية من مبادئ أخلاقية ثابتة.

ويخلصُ جون هيك إلى أن الخيرَ مفهوم علائقي يشيرُ إلى تحقيق الرغبات الطبيعية للموجود، وأن البشرَ حينما يقولونَ أن الإلهَ خير فإنما يقصدونَ من وراء ذلك أن وجودَ الإله وأفعاله يشكلانِ أفضلَ الشروطِ لخيرِ وسعادة الإنسان؛ فأفعال الإله معللة بمصالح العباد في المعاش والمعاد –حسبما يرى الأصوليون مثل فخر الدين الرازي وغيره–، والإلهُ جعل العلاقة به سبيلا لتحقق أفضل وأسمى ما تطمحُ إليه الطبيعةُ البشريةُ.

مقدس: HOLY

الإلهُ مقدس وعظيم، لا آخرية له يشعر الإنسانُ أمامه بالخشوع والرهبةِ وقد عبرَ أشعيا عن هذا الأمور بوضوح قائلا: بمن تشبّهون الاله؟ وأي شبه تعادلونُ به؟

فهو مباين لمخلوقاته مختلف عنها " أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي يقول الرب، لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم "

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أن الإله كمقدس يتطلب الوعي به ككائن غاية في الغموض، والتعلق به كقوة تتضاءل أمامها كل القوى، هو وعي للقدرة والمقصد الذي لا خيار لنا أمامهُ إلا أن ننحني بخشوع ورهبة من عظمته وقدسيته ولا محدوديته وخيريته.

والملاحظ أن صورة الإله في الثرات اليهودي والمسيحي تتلاقى كثيرا مع صورته في الثرات الإسلامي، في جوانب عديدة من تعريف للإله وصفاته العديدة مثل التوحيد القدرة اللاتناهي والتّقديس فالثقافة العربية الإسلامية أيضا تقدس الإله وتصفه بكل نعوت الجلال والكمال، كما تنفي وتسلب عنه جميع صفات النّقص والسّوء وكل ما من شانه أن يقلّل من قداسة وعظمة الإله.

الفصل الثاني: براهينُ على وجود الله وعلى عدم وجوده

البراهينُ على وجودِ الله:

في هذا المبحث يعرض جون هيك الأدلّة الفلسفية المختلفة والتي قدّمها كبار اللاهوتيين والفلاسفة على وجود الإله.

البرهانُ الأنطولوجي:

أولُ من طورهُ اللاهوتي الكبير القديسُ أنسلم،[1] ويتأسس على فكرة الكائن الأعظم –الأكملِ – الموجودُ الذي لا يمكن تصورُ أكمل منه. ولهذا البرهان صيغتان:

أولاهما: أن الكائن الأكملَ الذي لا يمكنُ أن يتصورُ ما هو أكملُ منه لا بد موجود في الذهن وفي الواقع وإلا امتنع أن يكون هو الأكملُ والأعظم، فمنتهى الكمال يتكون من الوجود الذهني بالإضافة إلى الوجود الواقعي.

وثانيهما: بما أن الله المطلقُ الكمال لا يحدهُ زمان ولا مكان، فإن إمكان أن يكون وجوده مسبوقا بعدم أو إمكان انعدامه في المستقبل مستحيل. إذا فما لا يمكن تصور أعظم ولا أكمل منه موجود ذهنا وواقعا ويستحيل حتى التفكير بأنه غير موجود.[2]

وقد تعرض هذا البرهان للنقد عن طريق غونيلون[3] إذ زعم أن تحليل أنسلم يؤدي إلى نتائج متناقضة إذا طبق في مجالات أخرى.

وفي مرحلة لاحقة يأتي ديكارت ليركزعلى نقطة دارت حولها اغلب النقاشات الحديثة للبرهان الأنطولوجي، وهي افتراض أن الوجود عبارة عن خاصية ومحمول، فالوجود كخاصية بفقدانها أو بالحصول عليها يكون معطى ما عرضة للبحث، ويزعم أن الوجود يجب أن يكون بين المحمولات التي تعرف الله فكما تكون مساواة مجموع زوايا المثلث لقائمتين، خاصية ضرورية للمثلث، فإن الوجود خاصية ضروري للكائن الفائق الكمال، فالمثلث من دون المقومات الذاتية لماهيته لا يكون مثلثا، والإله من دون الوجود لا يكون إلها.

وبدورها تعرضتْ تخريجة ديكارتْ للنقدِ على يدِ كانط وراسل وغيرهم، غير أن الجدير بالذكر أن بعض اللاهوتيين رأوا في برهانِ أنسلم تجل لأهمية كشف اللهِ عن ذاته فأنسلم لا يحاول جعل الملحدِ مؤمنا وإنما هدفَ إلى توجيه العقيدةِ المسيحية نحو فهم أعمقَ لموضوعاتها وقد أدى البرهان الأنطولوجي إلى إذكاءِ الفكرِ الفلسفي.

البرهانُ الكوزمولوجي

---

[1] القدّيس أنسلم (St. Anselm of Canterbury) هو أحد أبرز المفكّرين المسيحيين في العصور الوسطى، ويُعتبر "أب اللاهوت المدرسي " (Scholastic Theology)، أي المنهج العقلي في عرض العقيدة المسيحية.

[2] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 25

[3] نعم، الراهب **غاونيلو** – **(Gaunilo)** راهب بندكتي معاصر للقدّيس **أنسلم** –قدّم **أشهر نقد مبكر** للـــ **البرهان الأنطولوجي** الذي صاغه أنسلم لإثبات وجود الله.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

هاته المحاولةُ كانت لتوما الاكويني الذي قدمَ خمس طرائق لإثبات وجود اللهِ منطلقا من بعض المميزات العامة للعالم مدللا على عدم إمكانية وجود عالم بهذه المميزات الخاصة إلا بوجود الحقيقة المطلقة التي نسميها الله وهذه الطرائقُ:

الطريقة الاولى: تنطلقُ من وجود الحركة إلى المحركِ الذي لا يتحرك.

الطريقة الثانية: تنطلق من المعلولِ إلى العلة الأولى.

الطريقة الثالثة: تنطلق من ممكنات الوجود إلى واجب الوجودِ.

الطريقة الرابعة: من مراتب القيم إلى القيمةِ المطلقة.

الطريقة الخامسة: تنطلق من الغائية في الطبيعة إلى المبدعِ الخلاق.

وقد ركز جون هيك على برهانيْ الأكويني الثاني والثالث، فأما البرهان الثاني المعروف ببرهان العلة الأولى أي أن لكل حادث علة، وأن لهذه العلة علة، ويستمر التسلسل إلى ما لا نهاية آو يكون لها بداية ويستبعد الأكويني بالتسلسل ليستنتج وجود العلة الأولى التي نسميها الله.[1]

أما برهانُ الأكويني الثالث المعروفُ ببرهانِ الإمكانِ ومضمونه أن كل شيء في العالمِ من حولنا ممكنُ الوجود أي أن الشيء الموجود كان يمكن ألا يوجد، أو كان يمكن أن يوجد بشكل مختلف ودليل ذلك أن هذا الشيء لم يكن موجودا قبل أن يوجدَ (كورقة تحتاج في وجودها إلى الشجرِ يحتاج آلات القطع والعمال والمصانع....) فكل واحد من هذه الأمور يتوقفُ على عوامل أخرى وكل شيء يدل على أشياء أخرى وراءه، ولو كانت الأشياء كلها ممكنة لكان ثمة زمن لا يوجدُ فيه شيء، وبالتالي يمتنع وجود أي شيء لعدم وجود علة؛ وبما أن هناك موجودات، إذا يجب أن يوجد شيء لا يتصف بالإمكان – واجب الوجود – وهذا ما نسميه الله.

برهانُ النظام (أو برهان الغائية)

هذا البرهان الأكثرُ شعبيةً والأوسعُ انتشاراً بين البسطاء والعوام كما بين المثقفين والفلاسفة وهو قديمٌ استعملهُ أفلاطون في محاورة تيماوس والأكويني في الطرائق الخمسة ووليام بالي، ومفادهُ استبعاد وإقصاءُ الصدفة والعشوائية، فكل شيء في الكون يسير إلى غايةٍ ويؤدي وظيفةً محددةً مضبوطةً ومعقدةً؛ ومثاله أن عقلنا قد يقبل وجود حجرٍ في الصحراء وينسب الأمر إلى العوامل الطبيعية والمناخية، غير انه يستحيل أن تتقبل عقولنا وجود ساعةٍ بالصحراء ونسبة الآمر لنفس الظروف لان الساعة خليط معقدٌ مركبٌ من العجلات والعقارب والروصورات والصواميل والمحاور التي تعمل بتناغمٍ لإعطاء الوقت المحدد إذا لا مفر لنا من التسليم بوجود عقلٍ ذكيٍ مسؤولٍ عن الظاهرة

الإيمانُ بوجود الله ونظريةُ الاحتمالِ

ومفادهُ أننا عندما نأخذ بالحسبان الخصائص اللاهوتية للتطور البيولوجي إضافة إلى الخبرات الدينية والأخلاقية والجمالية والمعرفية للإنسان، يصبح احتمال وجود اللهِ أكثر رجحاناً من احتمال عدم وجوده، ويغدو تقديمُ الإيمان بوجود الله على انه الرؤيةُ الكونيةُ والنظام الميتافيزيقي الأكثر احتمالاً، ويوجد في الكتب المعاصرة التي تناولت مسالة الاحتمال نظريتان أساسيتان: هما نظرية التردد ونظرية معقولية الاعتقاد د وهكذا يكون التفسيرُ الديني للحياة هو الأكثرُ احتمالاً من التفسير الطبيعاني.

البرهانُ الأخلاقي

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 26-27

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يؤكدُ هذا البرهان في صيغه المتنوعة أن التجربة الأخلاقية تستلزمُ وجود إلهٍ، فشعور الفرد بالتزام تجاه بقية البشر يفترض وجود إلهٍ هو مصدر وأساس هذا الالتزام.[1]

وقد صيغ هذا البرهان بطريقتين:

الطريقة الأولى: عبارة عن استدلال منطقي إذ القوانين الأخلاقية الموضوعية دليل على وجود الإله المانح لها، فموضوعية القيم لا سيما الأخلاقيةُ برهان على وجود مصدرٍ متعالٍ للقيم. وأيضا يستدل بوجود الضمير على وجود الهٍ هو صوت هذا الضمير. فإذا كنا نشعر بالمسؤولية أو الخجل أو الخوف حينما نتخطى صوت الضمير فهذا يستوجب وجود ما نكون مسؤولين أمامه أو نخافه ونخجل منه وإذا كان سبب هذه المشاعر لا ينتمي إلى هذا العالم يجب أن يكون الهدف الذي يتوجه إليه هذا الإدراك الحسي خارقاً ومقدسا.

الطريقة الثانية: ويقول أن من يلتزم باحترام القيم الأخلاقية من خلال ممارستها، عليه الإيمان بشكلٍ واضحٍ بمصدرٍ وأساسٍ فوق البشر لهذه القيم هو ما يسميه الدين إلهاً.

البراهينُ على عدمِ وجودِ الله:

في هذا المبحث يتطرق المؤلف لأشهر النظريات، والأفكار، التي تتزعم القول بعدم وجود الإله، والطّعون عليها، والردود على الطعون.

النظريةُ الاجتماعيةُ للدين

وفحوى هذه النظرية أن اللآلهة التي يعبدها البشر هي كائنات خيالية صنعها المجتمع في لاوعيهم، لتكون أدواتٍ يسيطر بها على تصوراتهم وسلوكاتهم، فالله ما هو إلا رمزٌ للمجتمع، ويرى إيميل دوركهايم أن الشعور بالله كملاذٍ نهائيٍ للبشريكمن في الطريقة التي يساعد فيها المجتمع أفراده في كل محن الحياة الكبرى، فالمجتمع بما هو حقيقة كبرى يتجاوز الفرد وجوداً حقيقياً، وهو يشكل الحقيقة الواقعية التي صارت رمزاً للإله، وهكذا تفسر النظرية كيف تتحول الضغوطات الطبيعية للمجتمع لتصبح شعوراً بوجودٍ خارقٍ لله من خلال ميلٍ شاملٍ للعقل البشري لخلق الصور الذهنية والرموز، وههنا وحسب هذا التفسير لا يبقى الله الكائن الخارق الخالق للبشرية، بل يصير الإنسان هو الذي خلق الله بهدف تأمين وجوده الاجتماعي والحفاظ عليه.[2]

و لم تسلم هذه النظرية من سهام نقد المفكرين الدينيين الذين أكدوا على الصعوبات التالية:

– اتهام النظرية بالفشل في المدى الشامل للإدراك الديني الذي يتجاوز المجتمع التجريبي ليقر بوجود علاقة أخلاقية مع باقي المخلوقات البشرية.

– واتهامها أيضا بالفشل في تفسير الإبداع الأخلاقي للعقل النبوي التي يتجاوز السائد ويتميز بالتجديد.

– وأيضا اتهامها بالفشل في تفسير الانفصال الاجتماعي للضمير في مسالة الفرد الذي يختلف مع المجتمع لأنه يسير في الإتجاهِ المعاكسِ كمثال "عاموس" الذي تبرأ من المجتمع اليهودي في عصرهِ أوعبر العصور.

نظرية فرويد حول الدين:

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 42-43

[2] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص 48

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويرى هذا الاتجاه أن المعتقدات الدينية ما هي إلا تصوراتٌ وتجلياتٌ وتنفيذ لأقدم وأقوى رغبات البشر وأشدها إلحاحاً، فالدين دفاعٌ عقليٌ ضد كل ما يتهدد الحياة كالزلازل الموت المرض...والحل الذي تبنته الديانة اليهودية والمسيحية ما هو إلا إسقاطٌ لما في الذاكرة الدفينة حول سلطة الأب على الكون ليصبح الوجه الذي يبتسم لنا في المهد، كبيراً إلى درجة الإطلاق ويبتسم لنا من السماء.

ويستحضر عقدة أوديب التي ترتكز على المشاعر المتناقضة المتضاربة للكشف عن الشحنة الهائلة من مشاعر الحياة الدينية ومشاعر الخطيئة التي ترتبط بها، والهدف من ربط الدين بعقدة أوديب التي تتجدد في كل ذكر هو إبراز السلطة الغامضة لله في الذهن البشري، والإحساس القوي بالخطيئة الذي يدفع الناس إلى الخضوع لهذه السلطة فالدين إذا هو عودة المكبوت وهو العصب الشامل المستحوذ على الإنسانية، والذي يمكن تجاوزه على الأقل عندما يتعلم الناس مواجهة العالم، غير معتمدين على الأوهام بل على معرفةٍ علميةٍ حقيقيةٍ.

وقد جوبهت نظرية فرويد ببعض الاعتراضات نوجزها فيما يلي:

– أن فرضية القبيلة البدائية التي تتأسس عليها عقدة أوديب مرفوضةٌ كلياً من علماء الأنثروبولوجيا، كما أن عقدة أوديب لم تعد مفتاحاً للحل، حتى عند كثيرٍ من خلفاء فرويد.

– أن نظرية فرويد الدينية، تعد إلى حد كبيرٍ تأملية، وهي أقرب إلى النظريات الفلسفية منها إلى التقاريرِ التجريبية.

تحدي العلم الحديث

منذ بداية عصر النهضة وانتشار كم هائل من المعلومات العلمية حول العالم بشكلٍ واسعٍ في كل المجالات الفيزيائية والبيولوجية والجيولوجية وعلم الحيوان والكيمياء.... أضحت كثيرٌ من الحقائق الدينية تتنافى مع معطيات العلم التجريبي وحمي وطيس المواجهة بين المعرفتين العلمية والدينية. إلا انه في كل معركة كبرى بين العلماء و رجال الدين كانت الغلبة للمنهج العلمي و أثبت صحته من خلال ثماره العملية التي أنتجها، مما اضطر معه رجال الدين إلى إجراء تعديلاتٍ ضروريةٍ على مظاهر الاعتقاد الديني التي تضاربت مع الاكتشافات العلمية، فلم تعد العقول العلمية تقبل فهم الكتابات الدينية التي تعكس ثقافة ما قبل العلم من قبيل أن الجنة في السماء فوق رؤوسنا، و أن جهنم في الأرض تحت أقدامنا ...و إذا كان الأمر كذلك فما قول العلم في الروايات الكثيرة حول العجائب، و المعجزات، و الكرامات، و الصلوات، المستجابة المبثوثة، في الكتب المقدسة، و المؤلفات، و السجلات الإنسانية، منذ فجر التاريخ حتى يوم الناس هذا، هل يمكن اعتبارها متعارضة مع العلوم ؟[1]

تتعلق الإجابة عن هذا السؤال حسبما يرى جون هيك بكيفية تعريفنا للمعجزة، إذ يمكن تعريفها بعباراتٍ غير دينيةٍ كالقول بأنها خرقٌ أو امتدادٌ للنظام الطبيعي، أو بعباراتٍ دينيةٍ بقولنا أنها حدث غير عادي و مذهلٌ يستحضر و يستثير فينا الإدراك بوجود الله، غير انه لا يسع المرءَ إنكار المعجزات، لان المبدأ الذي ينفي حصول أي شيء بخلاف القانون الطبيعي لا يعني عدم وجود أحداث غير عادية فالرد العلمي الأسلم يكون بالسعي لمراجعة و توسيع الفهم الحالي للطبيعة بهدف استيعابها فالقوانين الطبيعية تشتمل على تعميماتٍ مصاغةٍ لتغطي أي شيء حصل سابقاً بالفعل .

[1] جون هيك، فلسفة الدّين، ترجمة طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، الطّبعة الأولى 2010، ص54

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خاتمة

وتأسيسا على كلّ ما سبق يتبدّى بجلاء لا وضوح بعده أهم الفوارق بين فلسفة الدّين والفلسفة الدّينية، كما الفرق بين علم الكلام وفلسفة الدّين، وأيضا المائز بين فلسفة الدّين واللاهوت سواء الوحياني أو الطّبيعي، ففلسفة الدّين هي الدّراسة النقدية العقلية المحايدة والموضوعية لكل العقائد الدّينية، أما اللاهوت فعلم يتغيّى الدّفاع عن عقيدة دينية معيّنة و تفنيد غيرها، لهذا لا مجال فيه للموضوعية والحياد أما فلسفة الدّين فيمارسها المؤمن والملحد والمتديّن وغير المتديّن على السواء

وهكذا بعض عرض الادلة المثبتة لوجود الله، والادلة النافية لوجوده، يخلص المؤلف الى نتيجة مفادها أننا أمام عالم فوق التجربة، حيث يمكن إثبات وجود الشيء، وعدم وجوده، حيث نكون أمام تكافؤ الادلّة، وأمامها يحتار الفكر، ويتوقف العقل البشري. يقول أبو البركات البغدادي: " ألا إن للعقول حدودا تقف عندها " وههنا لا يملك الإنسان إلا أن يسلم مع المسَلِّمين أن الدين و الإعتقاد الدّيني اعتقاد قلبي و اطمئنان نفسي ليس إلاّ، ولا علاقة له بالإقتناع والنّظر العقلي؛ إذ العقل يحار و يتوقّف و يعجز أمام تكافؤ الأدلة ليفسح المجال لغيره من مكوّنات الإنسان الأخرى لتأخذ بيده إلى ما تطمئنّ إليه النّفس و يرتاح إليه الخاطر.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

لائحة المراجع والمصادر:

✓ **الكتب:**

- فلسفة الدين: جون هيك. ترجمة طارق عسيلي. دار المعارف الحكمية.
- مشكلة الشر: دانيال سبيك. ترجمة سارة السباعي. دار نشر بوليتي. المملكة المتحدة.
- مدخا إلى فلسفة الدين: محمد عثمان الخشت. نشر مؤمنون بلا حدود.
- دراسات نقدية في فلسفة الدين: أديب صعب. دار النهار للنشر.
- فلسفة الدين: جان غروندان.ترجمة عبد الله المتوكل.نشر مؤمنون بلا حدود.
- فكرة القدسي: رودولف اوطو.دار المعارف الحكمية.
- في فلسفة الدين: بولس الخوري.دار الهادي بيروت لبنان.

✓ **المقالات:**

- التعددية الدينية والاخلاق العالمية مقال لآسيا شكيرب.
- الدين بين الفلسفة واللاهوت: أديب صعب، جون هيك والتعددية الدينية. مقال مؤمنون بلا حدود.
- التعددية الدينية في فلسفة جون هيك وجيه قانصو.
- الدين بين الفلسفة واللاهوت أديب صعب.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/